هوامش

بعد الحراك العراقي الذي شهده العام الماضي، واستقالة الحكومة على إثره، ثم انتشار فيروس كورونا، لم تواصل الحكومة العراقية مساعيها في استعادة الآثار المنهوبة لها من الإمارات

ببساطة، على الإمارات أن تعيد ما ليس لها (Getty)

الآثار العراقية في الإمارات

تاريخ بانتظار إجراءات استعادة المنهوبات

بغداد ـ **محمد الباسم**

لم تتكل الجهود العراقية التي بذلتها وزارتا الثقافة والخارجية طيلة العامين الماضيين باستعادة مئات القطع والنفائس الأثرية الموجودة في الإمارات، والتي تمت سرقة أغلبها من المتاحف والمواقع الأثرية عقب الاحتلال الأميركي للعراق. تفرقت هذه القطع في دول عدة، أبرزها الإمارات، والكيان الإسرائيلي، والولايات المتحدة الأميركية.

لاحقاً، تسببت استقالة حكومة عبد المهدي، إثر تفجر الاحتجاجات في البلاد مطلع أكتوبر/ تشرين الأول عام 2019، وما أعقبها من أزمات سياسية عصفت بالبلاد، وصولاً إلى تشكيل حكومة الكاظمي، ثم جائحة كورونا، بتوقف جهود استعادة هذه النفائس، التي وصفها مسؤول وخبير آثار في وزارة الثقافة العراقية بأنها لا تقدّر بقيمة مالية، ولا يمكن بقاؤها خارج منزلها العراقي الكبير، في إشارة إلى المتحف الوطني العراقي وسط بغداد الذي تعرّض للنهب عام 2003.

منذ منتصف مارس/ آذار 2017 والأزمة مشتعلة، بعد ظهور لوحة «ذات الصواري»، إحدى النفائس العراقية للفنان التشكيلي فائق حسن. سُرقت اللوحة من أحد متاحف بغداد عام 2003 خلال الاحتلال الأميركي للعراق، ثم ظهرت في مزاد للتحف والنفائس في دبي. تسبب الأمر بأزمة كبيرة، طالبت خلالها السلطات العراقية الإمارات بإعادتها، وفتح تحقيق بكيفية وصولها، ما دفع مركز «كرستيز» للمزادات العالمية في دبي إلى تجميد بيعها، لكنها لم تسلمها إلى بغداد حتى الآن.

تحاكي اللوحة أبرز معارك المسلمين العرب سنة 655 للميلاد، والتي انتهت بإزاحة البيزنطيين عن البحر الأبيض المتوسط، كما أنها أول معركة بحرية يخوضها المسلمون. وبحسب مسؤول في وزارة الثقافة العراقية، فإن الجهود التي بذلت سابقاً في عهد الوزير عبد الأمير الحمداني كانت كبيرة، لكن استقالة الحكومة أعادت كل شيء إلى نقطة البداية، وما زالت آثار وتحف عراقية موجودة في الإمارات التي تحولت إلى معبر أيضاً لآثار عراقية مهمة في السنوات الماضية. يلفت المسؤول في حديث لـ«العربي الجديد» إلى أنه ببساطة على الإماراتيين أن يعيدوا ما ليس لهم. هذه آثار عراقية سومرية وبابلية وآشورية وأكادية وعباسية، تعود إلى حقب حضارة بلاد الرافدين. لكن مع ذلك الحكومة الآن مطالبة بأن تتابع الجهود التي بذلت سابقاً، كون هذه القطع ملكاً وطنياً لكل العراقيين. التقت «العربي الجديد» وزير الثقافة والسياحة والآثار السابق في العراق عبد الأمير الحمداني، والذي تُنسب إليه جهود كبيرة في هذا المجال. وقال إن «لوحة ذات الصواري ضمن مجموعة كبيرة من اللوحات والأعمال الفنية والمخطوطات والقطع الأثرية المهمة المسروقة والمهربة إلى دبي ومناطق أخرى، تم تهريبها قبل عام 2003 وبعده، من متحف الفن الحديث في العراق وغيره، وكذلك من المواقع الأثرية»، مبيناً أن «معظم الأعمال الفنية القديمة والنفيسة أرسلت إلى مناطق في الخليج، وقد تحركنا خلال العام الماضي من أجل استرداد ما يمكن بالتنسيق مع وزيرة الثقافة الإماراتية نورة الكعبي، وكان لدينا مذكرة تفاهم مع الإمارات بهذا الخصوص، وبحثنا بملفات كثيرة، من ضمنها لوحة ذات الصواري للراحل فائق حسن».

ولفت إلى أن «دبي ومناطق أخرى كانت محطات رئيسة لتهريب الأعمال الفنية العراقية والقطع الأثرية إلى أميركا وأوروبا واليابان، ولا تزال مئات القطع الأثرية في الإمارات، والعراق بصدد استعادتها، وتعهدت الإمارات وفق المذكرة بأنها لن تصادر الأعمال العراقية فقط، بل إنها ستعمل على منع تهريبها»، موضحاً أن «زيارته إلى الإمارات في العام السابق كانت مثمرة وشهدت تقدماً وانفتاحاً إماراتياً مهماً في مجال تطوير العلاقات الثقافية مع العراق، إلا أن ما شهده العراق من تظاهراتٍ وتشنج على مختلف الأصعدة حال دون استمرار المفاوضات».

يتابع: «عملية استرداد لوحة «ذات الصواري» إلى جانب أعمال وقطع أثرية أخرى لا تتم عبر الاتصالات أو المخاطبات الشفهية، بل تحتاج إلى مفاوضات بطرق رسمية». وعن أعداد اللوحات والقطع العراقية المهمة في الإمارات، أشار الحمداني إلى أن «العراق يعرف ما تمت سرقته من المتاحف إبان فترة إسقاط نظام صدام حسين، ولكن ما هو غير واضح، ما تم تهريبه واستخراجه بطرق غير قانونية من المواقع الأثرية، ونعلم أن لدينا الكثير من الألواح المسمارية في لبنان والأردن وغيرها من المناطق العربية، ولعل أبرز تلك الألواح هو ما تم تهريبه عبر دبي إلى جامعة كورنيل الأميركية، وتقدر بعشرة آلاف رقيم من جنوب العراق، وقد تمكنا من استردادها عبر سفارة العراق في واشنطن».

باختصار

سُرقت لوحة «ذات الصواري» من أحد متاحف بغداد عام 2003 خلال الاحتلال الأميركي للعراق، ثم ظهرت في مزاد للتحف والنفائس في دبي.

■■■

دبي ومناطق أخرى كانت محطات رئيسة لتهريب الأعمال الفنية العراقية والقطع الأثرية إلى أميركا وأوروبا واليابان.

■■■

العراق يعرف ما تمت سرقته من المتاحف إبان فترة إسقاط نظام صدام حسين، ولكن ما هو غير واضح، ما تم تهريبه واستخراجه بطرق غير قانونية

وأخيراً

راقصٌ أم نحلة؟

معن البياري

قال عالمون إن الرقصَ لغةُ النحل. وأفادنا دارسون بأن قبائل أفريقية تؤدّيه صلاةً شكرٍ للآلهة. والمجلس الدولي للرقص (تقرّر في 1982)، التابع لمنظمة اليونسكو، شكا، مرّة، من أن أكثر من نصف دول العالم لا تخصّص في ميزانياتها تمويلا لدعم الرقص. ومن مهمات المجلس هذا «زيادة الوعي بأهمية الرقص لدى الرأي العام». أما مفتتح هذه السطور بهذه الإشارات، فلأن شخصا «أحدث نقلةً في رقص الرجال يُؤرّخ بها»، على ذمّة النبيل الراحل، يحيى حقّي، مات أخيرا، اسمه محمود رضا، عن 90 عاما. وأظنّها تلك النقلة ما كانت لتصير، لولا أن هذا الراقص كان يرى نفسَه نحلةً. ولمّا أسّس وبنى، مع شقيقه الأكبر المخرج علي رضا، فرقة رضا، أظنّه أراد الراقصين والراقصات أن يكونوا كما النّحل. وظلت الأكثر شهرةً بين الفرق الشعبية العربية، أزيد من ستة عقود، قبل أن تختلف الدنيا، وتتبدّل أمزجة الناس، وتستجدّ أجيال من الناشئة العرب فيها من لم يسمع بعد بأم كلثوم (ويحيى حقّي بداهةً). ومهمٌّ هنا أن محمود رضا، في تصميماته رقصات الفرقة، المتنوّعة والغنية، بل والفاتنة في كثيرٍ منها، لم يكن فلكلوريا محضا، أو فنانا شعبيا بالحرفيّة المألوفة لهذه التسمية، وإنما كان يضيف على الرقصات التي جمعها، وتعرّف إليها في جولاته في أرياف مصر وصعيدها ونجوعها وبواديها وواحاتها وقراها، وكان يحذف أيضا، وكان «يستلهم» مما يشاهد ويسمع، ويبث في ما يصنع كثيرا مما يريد، محافظا في الوقت نفسه على ما تجوز تسميتها روح الفلكلور. ولذلك، ربما جازف كثيرا شادي لويس في مقالةٍ، ذكيةٍ للحق، في موقع «المدن»، لمّا اعتبر أن محمود رضا «اخترع الفلكلور لمصر الناصرية».

مغريةٌ سيرة محمود رضا لإنجاز روايةٍ رائقةٍ منها، ومسلسل تلفزيوني جذّاب، وفيلم سينمائي جيد. سيما في بداياته راقصا في فرقةٍ أرجنتينيةٍ في السنوات الأولى من الخمسينيات، وبواكيره في خواتيمها، طموحا ونشطا وواعدا، وقد شاهده في تلك الغضون يحيى حقّي، وكتب عنه في كتابٍ صدر في 1972 «القامة ممشوقة لها هذا الجمع العجيب بين الإيحاء بالصلابة والإيحاء باللين». أنظر إليه في أفلامه «غرام في الكرنك» (1967)، وبعده «حرامي الورقة» (1970) وقبلهما «إجازة نصف السنة» (1962)، وثلاثتها إخراج علي رضا، وكذا في مناسباتٍ غير قليلةٍ بعدها، تجد فنّا على فن، احترافا عاليا في تصميماتٍ راقصة، وغنائياتٍ واستعراضاتٍ، تبتهج بخفّة الروح، وتفيد من فضاءات الأمكنة المتّسعة، وتستنفر طاقات الجسد، فترى تموجاتٍ من حركياتٍ لينةٍ ومطواعة، ومرنة، تنطق بما تُضمره من معانٍ ومضامين، فترى أعراسا في أفراح، أو غناء صيادين، أو فلاحين في الغيطان، أو ناسا في البر، أو صبايا بالملايات اللفّ وغيرها، وكثيرا لا عدّ له من لوحاتٍ طافت بها فرقة رضا الأرض (باستثناء القطبين الشمالي والجنوبي، على ما قرأت)، بإبداعات محمود وعلي، وغالبا مع موسيقات علي إسماعيل، وغناء محمد العزبي وغيره، وغواية فريدة فهمي (زوجة الراحل علي رضا)، الراقصة الأشهر في الفرقة، في ذلك الزمن الذي حقّ فيه أن ترى تحية كاريوكا فيه نفسها جزءا من نهضةٍ ثقافيةٍ أساسية في مصر (وافقها إدوارد سعيد). وعندما تقول فريدة فهمي (80 عاما) التي اعتزلت في الثالثة والأربعين، إنها تأسف لحالٍ ليس مرضيا صارت عليه الفرقة، فذلك من تفاصيل بؤسٍ فادحٍ في مشهد فني مصري (وعربي) راهن. لم تكن فريدة فهمي تُزجي رثاءً عارضا، عابرا مناسباتيا مع مهابة غياب رجل وصفوه أيقونةً وأسطورة، لمّا قالت إن محمود رضا كان مُبهرا وجادّا وإداريا ونجما ممتازا. ولم يتزيّد من ذهبوا إلى أن تجربة هذا الفنان، لاعب الجمباز القديم، صارت واحدةً من تنويعات الجمال في ذاكرة المصريين. وهو الذي كان يرى الفلكلور ليس رقصا فقط، وإنما أيضا حكايات وخرافات وأزياء وموسيقى وأغانٍ وأساطير. وأظنّها هذه الرؤية هي التي جعلت تصميماته الاستعراضات والرقصات بالغنى الذي نعرف، والفرادة التي نفتقد. وكم كانت إطلالته الأخيرة قبل نحو عام، على مسرح قاهري، لمّا ماج بحركةٍ راقصة خفيفة، دقائق معدودات، أمام جمهور فرح به، وبرفقة صبايا وشبّان من «فرقة رضا» .. رأيتُه في مشهده الوداعي ذاك نحلةً، لا راقصا.

> مغريةٌ سيرة محمود رضا لإنجاز رواية رائقة منها، ومسلسل تلفزيوني جذّاب، وفيلم سينمائي جيد

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالا**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,20**, Austria **€ 2,20**, Belgium **€ 2,20**, France **€ 2,20**, Germany **€ 2,30**, Holland **€ 2,30**, Italy **€ 2,10**, Spain **€ 2,20**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 5,00**, USA **$ 2,00**